

39

القصص

الجزء الثالث

النبي الملك

داود

بقلم: ١. عبد الحميد عبد القصود
رسوم: ١. عبد الشافي سيد
إشراف: ١. حمدي مصطفى



تَوَلَّى دَاوُدُ ﷺ مَلِكُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، بَعْدَ وَفَاةِ
طَالُوتَ .. اخْتَارَهُ الشَّعْبُ الَّذِي أَحْبَبَهُ وَاحْتَرَمَهُ ، بَعْدَ
أَنْ قَتَلَ عَدُوَّهُ جَالُوتَ ..

آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَجَعَلَهُ نَبِيًّا ، وَعَلَّمَهُ الْحِكْمَةَ ، كَمَا
آتَاهُ مِنْ عِلْمِهِ مَا شَاءَ أَنْ يَعْلَمَهُ سُبْحَانَهُ ..

وهكذا جمع داود عليه السلام بين الملك والنبوة ..

فهو الملك النبي ، أو النبي الملك ..

وقبل داود عليه السلام كان الملك في سبط والنبوة في

سبط آخر ، فجمع الله - تعالى - له بين خيرى

الدنيا والآخرة ..

وقد سخر الله - تعالى - لعبده ونبيه داود عليه السلام

عددا من النعم ..

من هذه النعم أن الله - تعالى - سخر الجبال

والطيور لتسبح معه ..

وقد كان نبي الله داود عليه السلام تقيا حسن الصوت ..

وآتاه الله - تعالى - الزبور ، وهو كتاب مقدس

كالطورا ..

فكان داود عليه السلام إذا قرأ من كتابه مُرتلا

بصوته الجميل ردت معه الجبال والطيور

تسبحه لله - تعالى - ..

قَالَ تَعَالَى :

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوْبَىٰ مَعَهُ

[الآية ١٠ من سورة سبا]

وَالطَّيْرُ ﴾

وَقَالَ تَعَالَى :

﴿ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا

[الآية ٧٩ من سورة الأنبياء]

فَاعِلِينَ ﴾

وَقَالَ تَعَالَى :

﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ * إِنَّا سَخَّرْنَا

الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعُشَىٰ وَالْإِشْرَاقِ * وَالطَّيْرُ

مَحْشُورَةٌ كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ * وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ

[الآيات ١٧ - ٢٠ من سورة ص]

وَفَصَّلَ الْخَطَابَ ﴾

وَالْمَقْصُودُ بِالْأَيْدِ هُنَا هُوَ الْقُوَّةُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ - تَعَالَى - ،

فَقَدْ كَانَ دَاوُدُ ﷺ ذَا قُوَّةٍ فِي الْعِبَادَةِ لِلَّهِ - تَعَالَى - ،

وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ ..

كَانَ دَاوُدُ ﷺ يَقُومُ اللَّيْلَ مُتَعَبِّدًا لِلَّهِ - تَعَالَى - ،

وَكَانَ يَصُومُ نِصْفَ الْعَامِ .. أَيْ أَنَّهُ كَانَ يَصُومُ
يَوْمًا ، وَيُفْطِرُ يَوْمًا ، فَهُوَ بِذَلِكَ يَصُومُ نِصْفَ الْعَامِ ..
يَصِفُ رَسُولُنَا مُحَمَّدٌ ﷺ عِبَادَةَ النَّبِيِّ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ
فَيَقُولُ :

« أَحَبُّ الصَّلَاةِ إِلَى اللَّهِ صَلَاةُ دَاوُدَ ، وَأَحَبُّ الصِّيَامِ
إِلَى اللَّهِ صِيَامُ دَاوُدَ ، كَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ وَيَقُومُ ثُلُثَهُ ،
وَيَنَامُ سُدُسَهُ ، وَكَانَ يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا ، وَلَا يَفِرُّ
إِذَا لَاقَى »

أَيْ لَا يَفِرُّ مِنْ مِيدَانِ الْمَعْرَكَةِ إِذَا لَاقَى الْأَعْدَاءَ ، وَإِنَّمَا
يَثْبِتُ لِلْقَائِمِهِمْ ..

وَقَدْ وَهَبَ اللَّهُ نَبِيَّهُ دَاوُدَ ﷺ الصَّوْتِ الْعَظِيمِ
الْحَسَنَ ، مَا لَمْ يُعْطِهِ أَحَدًا ، فَقَدْ كَانَ إِذَا تَرَنَّمَ بِقِرَاءَةِ
الزَّبُورِ ، يَقِفُ الطَّيْرُ فِي الْهَوَاءِ يُرَدِّدُ صَوْتَهُ ، وَيَسْبَحُ
بِتَسْبِيحِهِ .. وَكَذَلِكَ كَانَتْ الْجِبَالُ تُرَدِّدُ صَوْتَهُ
وَتُسَبِّحُ مَعَهُ كُلَّمَا سَبَّحَ بِكُرَّةٍ وَعَشِيًّا ، أَيْ عِنْدَ أَوَّلِ
النَّهَارِ ، وَفِي آخِرِهِ ..

وَمِمَّا يُرَوَّى عَنْ حُسْنِ صَوْتِ دَاوُدَ ﷺ وَحُسْنِ
تَرْتِيلِهِ ، وَخُشُوعِهِ لِلَّهِ - تَعَالَى - ، أَنَّهُ كَانَ إِذَا رَتَّلَ ،
تَجَمَّعَتْ حَوْلَهُ الطَّيْرُ وَالْوَحُوشُ ، فَيَمُضِي الْوَقْتُ بِهَا
دُونَ أَنْ تَشْعُرَ بِهِ ، حَتَّى إِنْ بَعْضُهَا كَانَ يَكَادُ يَمُوتُ
عَطْشًا وَجُوعًا ، وَهِيَ لَا تَشْعُرُ بِذَلِكَ ..

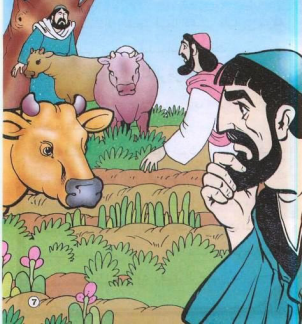
وَكَانَتِ الْجِنُّ وَالْإِنْسُ تُنصِتُ لَهُ بِخُشُوعٍ مِنْ شِدَّةِ
خُشُوعِهِ لِلَّهِ - تَعَالَى - ..

وَكَانَ دَاوُدُ ﷺ مَعَ صَوْتِهِ وَتَسْبِيحِهِ سَرِيعَ الْقِرَاءَةِ
لِلزَّبُورِ .. وَالزَّبُورُ كِتَابُ سَمَاوِيٍّ يَحْتَوِي عَلَى الْحُكْمِ
وَالْمَوَاعِظِ ..

وَقَدْ أُعْطِيَ اللَّهُ - تَعَالَى - عَبْدَهُ وَنَبِيَّهُ دَاوُدَ ﷺ
مُلْكًا عَظِيمًا ، وَحُكْمًا نَافِذًا ..

جَاءَ رَجُلَانِ إِلَى دَاوُدَ ﷺ وَادَّعَى أَحَدُهُمَا عَلَى
الْآخَرِ ، أَنَّهُ اغْتَصَبَ مِنْهُ بَقْرًا ، فَأَنْكَرَ الْمُدَّعَى عَلَيْهِ أَنَّهُ
اغْتَصَبَ مِنْهُ بَقْرَةً ، وَتَحَاكَمَا إِلَى دَاوُدَ ﷺ فِي أَمْرِ
الْبَقْرِ ، فَأَجَلَ دَاوُدُ النَّظَرَ فِي أَمْرِهِمَا إِلَى اللَّيْلِ ..

فَلَمَّا جَاءَ اللَّيْلُ ، أَوْحَى اللَّهُ
- تَعَالَى - إِلَى دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ
يَقْتُلَ الْمُدْعَى ..



فَلَمَّا أَصْبَحَ الصَّبْحُ ، قَالَ دَاوُدُ ﷺ لِلْمُدْعَى :

— إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ أَقْتُلَكَ ، فَأَنَا قَاتِلُكَ لَا مُحَالَةَ ،

فَمَا خَبْرُكَ فِيمَا ادَّعَيْتَهُ عَلَيَّ هَذَا الرَّجُلُ مِنْ سَرِقَةِ بَقْرِكَ ؟

فَقَالَ الرَّجُلُ :

— يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، إِنِّي لَمُحِقٌ فِيمَا ادَّعَيْتَ عَلَيَّ مِنْ سَرِقَةِ

بَقْرِي ، وَلَكِنِّي كُنْتُ قَدْ قَتَلْتُ أَبَاهُ قَبْلَ ذَلِكَ ..

فَأَمَرَ دَاوُدُ ﷺ بِقَتْلِ هَذَا الرَّجُلِ قِصَاصًا عَادِلًا لِقَتْلِهِ أَبَا

الرَّجُلِ ، فَعَظَّمَ أَمْرَ دَاوُدَ ﷺ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ ،

وَحَضَعُوا لَهُ خُضُوعًا عَظِيمًا ..

وَقَدْ قَالَ الْمَفْسُرُونَ وَالْمُؤَرِّخُونَ : إِنَّهُ لَمَّا كَثُرَتْ

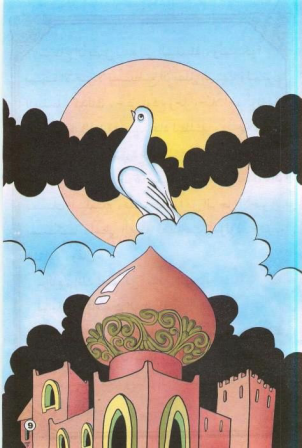
الشُّرُورُ وَشَهَادَاتُ الزُّورِ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ ، أَعْطَى اللَّهُ

— تَعَالَى — دَاوُدَ ﷺ سِلْسِلَةً لِفَصْلِ الْقَضَاءِ ، فَكَانَتْ

مَمْدُودَةً مِنَ السَّمَاءِ إِلَى صَخْرَةٍ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ ،

وَكَانَتْ سِلْسِلَةً مِنْ ذَهَبٍ ، فَبِإِذَا تَشَاجَرَ الرَّجُلَانِ فِي

حَقٍّ ، وَجَاءَا إِلَى دَاوُدَ ، فَأَيُّ الرَّجُلَيْنِ كَانَ مُحِقًّا



استطاع أن يصل بيده إلى السلسلة ، ويمسكها ،
بينما الآخر لا يستطيع أن يصل إليها ولم تنزل
السلسلة كذلك ، حتى أودع رجل رجلاً آخر للؤلؤة ،
على سبيل الأمانة ، فلما عاد ليطلبها منه جردها ،
وأنكرها منه .. ثم أودع اللؤلؤة في عكازها ، فلما
حضر عند الصخرة استطاع صاحب اللؤلؤة أن
يمسك السلسلة ، فلما طلبوا من الرجل الآخر أن
يمسكها ، أعطى العكاز لصاحب اللؤلؤة ، وفيه
اللؤلؤة ، وقال :

— اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي أَعَدْتُهَا إِلَيْهِ ..

ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ فَأَمْسَكَ السَّلْسِلَةَ .

فوقع بنو إسرائيل في الشك والحيرة ، واختلط
عليهم الأمر ، لأن كلاً من الرجلين استطاع أن
يمسك السلسلة ، ويقال إن السلسلة رفعت سريعاً

من بينهم ..

وَمِنْ نِعَمِ اللَّهِ - تَعَالَى - عَلَى عَبْدِهِ وَنَبِيِّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ أَلَانَ لَهُ الْحَدِيدَ .. قَالَ اللَّهُ - تَعَالَى - فِي قُرْآنِهِ الْمَجِيدِ :

﴿ وَآتَيْنَاهُ الْحَدِيدَ أَنْ أَعْمَلَ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرَ فِي السُّرْدِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾

[الآية ١٠ من سورة سبأ]

قال بعض المفسرين : إِنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - قَدْ جَعَلَ الْحَدِيدَ فِي يَدِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ سَهْلًا لَنَا كَالشَّمْعِ يُشْكَلُهُ كَيْفَ يَشَاءُ ، بِدُونِ تَسْخِينٍ أَوْ صَهْرٍ أَوْ طَرْقٍ بِالْمِطَارِقِ .. وَأَمْرَهُ اللَّهُ - تَعَالَى - أَنْ يَسْتَغْلِ هَذِهِ الْمِيزَةَ فِي صِنَاعَةِ مُفِيدَةٍ ، وَهِيَ صِنَاعَةُ الدَّرُوعِ ، كَيْ يَلْبَسَهَا الْجُنُودُ ، وَيَخْرُجُوا لِلْغَزْوِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ - تَعَالَى - وَقِتَالِ أَعْدَائِهِ ..

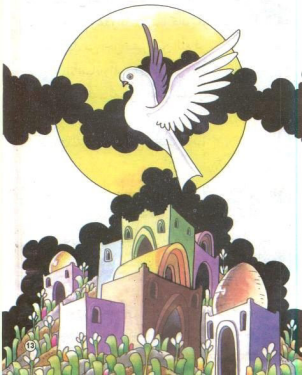
وَقَدْ كَانَتْ الدَّرُوعُ قَبْلَ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ تُصْنَعُ مِنْ صَفَائِحَ مِنَ الْحَدِيدِ ، وَكَانَتْ ثَقِيلَةً جِدًّا تَعُوقُ الْحَارِبَ

عن أداء عمله بكفاءة لأنها تقيّد حرّكته ، كما
أنّها لم تكن تقيّ لابسها من ضربات السيوف
والحراب والفؤوس ..

أما الدروع التي صنعها داود عليه السلام فقد كانت خفيفة
ومتينة ، لأنّه كان ينسجها من حلقات من الحديد ،
يقوم بتشكيلها بيده ، مستغلاً ميزة إلانة الحديد بين
يديه .. وقد كانت الدروع المسرودة (أى التي تنسج
من حلقات يركّب بعضها في بعض) والتي كان داود
عليه السلام يصنعها أخف وزناً ، وأكثر قوة ومتانة ، فلا تؤثر
فيها ضربات الأسلحة ، كما أنّها كانت تمكّن
لابسها من حرية الحركة في ميدان القتال ..

وقد كان نبيّ الله داود عليه السلام يأكل من عمل يده ،
برغم أنّه كان نبياً ، وملكاً على مملكة بني إسرائيل ..
وقد كان عمله هو صناعة الدروع ، فكان يصنع في كلّ
يوم درعاً ، ويبيعه فيأكل منه هو وأهله ..

وَقَدْ كَانَتْ صِنَاعَةُ الدُّرُوعِ الْخَفِيفَةِ الْمَتِينَةِ عَلَى يَدِ دَاوُدَ
عَلَيْهِ السَّلَامُ وَتَسْلِيحُهُ الْجَيْشَ بِهَا سَبَّأَ فِي قُوَّةِ جَيْشِ دَاوُدَ عَلَيْهِ



فَلَمْ يَدْخُلْ دَاوُدُ ﷺ مَعْرَكَةً وَخَسِرَهَا ، وَكَانَ
 ذَلِكَ يَجْعَلُ أَعْدَاءَهُ يَهَابُونَهُ .. وَلَمْ يَكُنْ دَاوُدُ ﷺ
 يُحَارِبُ ظُلْمًا وَعُدْوَانًا ، وَإِنَّمَا كَانَ يَغْزُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ
 - تَعَالَى - ، مِنْ أَجْلِ نَشْرِ دِينِ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ .. وَهَذَا
 هُوَ حَالُ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ ..
 وَقَدْ أَتَى اللَّهُ - تَعَالَى - عَلَى عَبْدِهِ وَنَبِيِّهِ دَاوُدَ ﷺ ،
 فَقَالَ :

﴿ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ ﴾

[الْآيَةُ ٢٥ سُورَةُ ص]

أَيُّ أَنَّ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قُرْبَى يَقْرُبُهُ اللَّهُ - تَعَالَى - بِهَا
 مِنْ عَرْشِهِ ، وَيَفِيضُ عَلَيْهِ بِهَا مِنْ رَحْمَتِهِ وَبَرَكَاتِهِ ..
 وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْمَفْسُرِينَ لِهَذِهِ الْآيَةِ : إِنَّ دَاوُدَ ﷺ
 يَقُومُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ سَاقِ الْعَرْشِ ، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ
 وَجَلَّ :

- يَا دَاوُدُ مَجِدْنِي الْيَوْمَ بِذَلِكَ الصَّوْتِ الْحَسَنِ
 الرَّخِيمِ ، الَّذِي كُنْتَ تُمَجِّدُنِي بِهِ فِي الدُّنْيَا ،

فَيَقُولُ دَاوُدُ :

- كَيْفَ يَا رَبِّ ، وَقَدْ سَلَبْتَهُ ۱۴

فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ :

- « إِنِّي أَرَدْتُ عَلَيْكَ الْيَوْمَ »

فَيَرْتَفِعُ دَاوُدُ عليه السلام بِصَوْتِهِ مُمَجِّدًا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ..

وَقَدْ قَالَ دَاوُدُ عليه السلام مُخَاطِبًا اللَّهَ - تَعَالَى - ذَاتَ يَوْمٍ :

- يَا رَبِّ ، كَيْفَ لِي أَنْ أَشْكُرَكَ ؟ ! أَنَا لَا أَصِلُ إِلَى

شُكْرِكَ إِلَّا بِنِعْمَتِكَ ..

فَأَنَادَ الْوَحْيُ :

- « يَا دَاوُدَ أَلَسْتَ تَعْلَمُ أَنَّ الَّذِي بِكَ مِنَ النِّعَمِ مِنِّي ۱۴ »

فَقَالَ دَاوُدُ :

- بَلَى يَا رَبِّ ..

فَخَاطَبَهُ اللَّهُ - تَعَالَى - قَائِلًا :

- « فَإِنِّي أَرْضِي بِذَلِكَ مِنْكَ » ..

(تَمَّتْ)

قصص الأنبياء



الكتاب التالي
داود عليه السلام
(٤) قاضياً
أحرص على اقتنائه